تذكرة أولي الغير

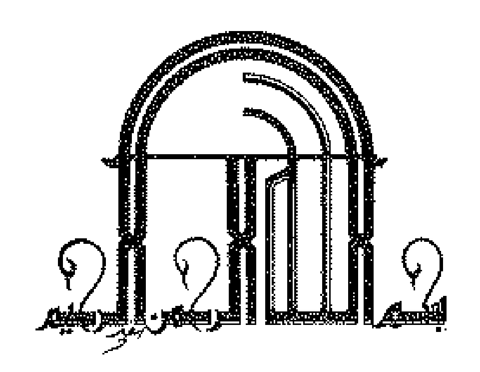
بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الطبعة الأولى
ذو القعدة ١٤١١هـ

دار العاصمة

المملكة العربية السعودية
الرياض - ص.ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٩٤




بسم الله الرحمن الرحيم





المقدمة

الحمد لله الذي قال عن نفسه: ﴿ إنّ الله يأمرُ بالعَدْلِ والإحسَانِ وإيتآءِ ذِي القُربَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعظِكمُ لعلَّكُم تَذَكَّرُون ﴾.

[النحل، الآية: ٩٠].

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله، نبينا محمد، الموصوف في التوراة والإنجيل بقوله سبحانه: ﴿ يأمُرُهم بالمعروفِ وينهاهُمْ عن المنكرِ ويُحِلُّ لهم الطيباتِ ويُحرِّمُ عليهمُ الخبائِثَ ﴾. [الأعراف، الآية: ١٥٧].

ورضي الله عن أصحابه: ﴿ فالذينَ آمنوا به وعزَّروهُ ونصَرُوهُ واتبَعُوا النورَ الذي أُنزلَ مَعَهُ أولئك هُمُ المُفلِحون ﴾. [الأعراف، الآية: ١٥٧]. ففازوا بثناء الله عليهم، إذ يقول: ﴿ كُنتم خيرَ أمَّةٍ أُخرجت للنَّاس تأمُرونَ بالمعروفِ وتَنْهَونَ عنِ المنكر وتؤمنون بالله ﴾.[آل عمران، الآية: ١١٠].

أما بعد:

فلما كان الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أمرًا أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة، ووصف به أنبياءه المصطفين، ورسله المجتبين، ولا سيما سيدهم وإمامهم وخاتمهم محمدًا، ﷺ، وأثنى به سبحانه على خواص عباده المؤمنين، وأوليائه المتقين.

ووعد الله تبارك وتعالى القائمين به بإحسان، بالعز والنصر، والتمكين في الأرض، والرحمة، والفلاح، والفوز بكل خير عاجل وآجل في الدنيا والآخرة.

وجعل سبحانه التهاون به وتعطيله، من سيء الفعال، وقبيح الخلال، ووصف من كان كذلك بالعدوان والفسق والظلم والنفاق، وتوعدهم بأشد العقوبات، وأحل بهم أنواع المثلات، وجعلهم عِبرًا لمن بعدهم وعِظات.

ومع أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بتلك الأهمية، وأهله القائمين به بتلك المنزلة، والمعرضين عنه المقصرين فيه بذلك الخطر. **فقد قل القائمون به في**

ذلك الزمان، إذ تساهل فيه كثيرون، وأعرض عنه آخرون، وفرح بقلة أهله وَضَعْفِ جانِبِه مغرورون. لذا رأيت أن أذكر في هذه الرسالة الوجيزة المباركة - إن شاء الله -، من نصوص الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم، ممن لهم لسان صدق في الأمة، ماتيسَّر لي مما يبين حقيقته، وحكمه، ومهمات من قواعده، وجملاً من آداب من يتصدى له، وفوائد شتى تتعلق بذلك.

وأختم تلك الرسالة، بذكر نماذج من الآثار الكريمة، والفوائد العظيمة، التي تترتب على القيام بالأمر والنهي، ونماذج من العواقب الوخيمة والمصائب الأليمة التي تنتج عن تعطيله، في العاجلة والآجلة، متحريًا في ذلك مايناسب المقام، وتقتضيه الحال، راجيًا من الله تعالى أن تكون:

- تهنئة وتبشيراً، للآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر.
- وتذكيراً وحافزًا، يُرغِّب المحجمين عن سلوك طريقه، ويغريهم أن يكونوا من أبرز القائمين به والداعين إليه.

● وزجــرًا للمعــرضــين عنــه، أو المتعــرضــين لأهله بالسخرية والأذى.

● وتبصرةً للمستجدين على ميدانه، ليكونوا على بصيرة منه وهدى ومعرفة ونور.

فهي ـ إن شاء الله ـ ذكــرى للمؤمنــين، وعــظة للغافلين، وزجرًا للمعرضين، ونذيرًا للمتعرضين لأهله بأنــواع الأذى، وقــد قال تعــالى: ﴿ فذكــر إنّــما أنتَ مُذَكّــر ﴾. [الغاشية، الآية: ٢١]. وقال: ﴿ إنْ عليكَ إلاّ البلاغ ﴾. [الشورى، الآية: ٣١]. وقال سبحانه: ﴿ إنّ الله يسمعُ من يشــاء ﴾. [فاطر، الآية: ٢٢]. وقال: ﴿ فإنّ الذكرى تنفعُ المؤمنين ﴾. [الذاريات، الآية: ٥٥]. وسميتها «تذكرة أُولِي الغِيَرْ بشعيرة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر».

فاللهم اجعلهــا مشتملة على الحق والهدى، ناهية عن الــزلــل والردى، خالصة لوجهك، مقربة إليك، مقبولــة لديك وهبهــا من عبادك آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية، وهممًا عليَّة، وعزائم صادقة، فإنك على كل شيء

قدير وبالإجابة جدير.

وهذا أوان الشروع في المقصود، وأسأل الله الهدى والسداد، فإنه سبحانه كريم رحيم رؤوف بالعباد.

المؤلف

عبدالله بن صالح القصير

الموجه الإسلامي بالرئاسة العامة لإدارات
البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مركز الدعوة والإرشاد بالرياض




تعريفات

المقصود بالمعروف:

هو اسم جامع لكل ماعُرِفَ من طاعة الله ورسوله، والإحسان إلى عباده، بكل ماجاء الأمر به والحث عليه في الكتاب والسنة.

فيدخل في ذلك كل ما أمر الله به ورسوله، من توحيد الله والإخلاص له، والمحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة، وإيتاء الزكاة، والصيام، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والعشرة الزوجية، والإحسان إلى الجيران، والمحتاجين، واليتامى، والمساكين، وكافة المسلمين، ونحو ذلك من واجبات الدين ومكملاته التي يجمعها مسمى الإيمان والعمل الصالح.

فهو اسم يحيط بالدين كله أصوله وفروعه، عقائده وأحكامه، سننه وآدابه.

حقيقة المنكر:

هو كل اعتقاد، أو قول، أو عمل، أنكره الله ورسوله. كالشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والتهاون بالفرائض، ومخالفة السنن المأمور بها، وظلم العباد، وانتهاك الحرمات كالقتل، والسرقة، والزنى، وشرب الخمور، وتعاطي المخدرات، وإيذاء المسلمين، وتعاطي أسباب ذلك، ودواعيه ووسائله وذرائعه التي تؤدى إليه.

الميزان في كون الشيء معروفا أو منكرا:

الميزان لذلك هو الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وليس مايتعارف عليه الناس أو يصطلحون عليه مما يخالف الشرع الحنيف.

- فما جاء الأمر به في الكتاب والسنة، أو الندب إليه والحث عليه، أو الثناء على أهله، أو الإخبار بأنه مما يحبه الله تعالى ويرضاه، ويكرم أهله بالثواب العاجل والآجل، فهو المعروف الذي يؤمر به.
- وماورد النهي عنه في الكتاب والسنة، والتحذير منه



وبيان عظيم ضرره وكبير خطره في الدنيا والآخرة، أو جاء ذم أهله ووعيد فاعِلِيه بالسخط والعذاب والخزي والعار ودخول النار ونحو ذلك فهو المنكر الذي ينهى عنه.

***




الجديد
NEW & EXCLUSIVE

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يدعونَ إلى الخير ويأمُرون بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عن المنكَر وَأولئكَ هُمُ المُفلِحُون ﴾. [آل عمران، الآية: ١٠٤].

فالآيَة الكريمة تتضمن إيجاب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على أهل الإيمان.

وبينت سنة النبي، ﷺ، أن هذا الوجوب بحسب الاستطاعة، كما في قوله، ﷺ: «من رأى منكم منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». [رواه مسلم].

ومما يؤكد الوجوب نفيه، ﷺ، الإيمان عمن لم يجاهد بأحد هذه المراتب الثلاث، كما في قوله، ﷺ: «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل».

وكذلك ماجاء من الذم العظيم، والوعيد بالعذاب الأليم، لمن لم يقم بهذا الواجب، كما في قوله سبحانه: ﴿ لُعِنَ الذين كفرُوا من بنى إسرَائيلَ على لِسانِ داوُد وعِيسَى ابن مَريَمَ ذَلِكَ بِما عَصَوا وكَانُواْ يَعتدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَونَ عَن منكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئسَ مَاكَانُواْ يَفعَلُونَ ﴾ . [المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩].

وكان النبي، ﷺ: «يبايع أصحابه على النصح لكل مسلم، وأن يقولوا بالحق أينما كانوا، ولا يخافون لومة لائم». ونحو ذلك من نصوص الكتاب والسنة، التى لا تدخل تحت الحصر. وفي ذلك من تعظيمه والتأكيد على وجوبه ما لا يخفى.

ولهذا ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من فروض الكفايات التي لا تسقط عن العباد، إلا إذا قام بها طائفة من الأمة يحصل بها المقصود الشرعي.

* **وفروض الكفايات آكد من فرض العين على الأمة وأشد من جهتين:**

الأولى: من جهة تعلقه، فإن الخطاب به لجميع

الأمة، أما فرض العين فَمُتَعَلَّقُ خطابه بالشخص وحده.

الثانية: من جهة جزاءه، فإن عقوبته تعم من تركه ـ مع القدرة عليه ـ، بخلاف فرض العين فإن عقوبته تخص تاركه فقط.

* **وأيضا فإن للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين من وجوه:**

الأول: أن القائم بفرض الكفاية يُسْقِطُ الحرج والإثم عن نفسه، وعن المسلمين.

الثاني: أنه يكون من الدعاة إلى الهدى، والدالين على الخير. فيكون له مثل أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

الثالث: أنه يصبح من السابقين إلى إحياء السنن، والمجاهدين في إماتة البدع والمعاصي.

● **وقد يكون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،** فرض عين على الشخص، كما إذا كان الشخص في موضع فيه منكر ولا يعلم به غيره أو لا يقدر على إزالته سواه فيكون متعينًا عليه لقوله، ﷺ: «من رأى منكم

منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». [رواه مسلم].

فيكون التغيير باليد أو باللسان واجبًا عليه ـ بحسب قدرته ـ، أما التغيير بالقلب ـ وهو كراهة المنكر وبغضه وتمني زواله وظهور آثار ذلك عليه ـ فلا يسقط وجوبه عنه بحال.

● والمقصود: أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فريضة عظيمة من فرائض الله على المؤمنين، وواجب حتمي من واجبات الدين في حق كل أحد من المسلمين ـ بحسب قدرته وحاله ـ، والله هو الموفق والمعين.

● فيجب على من أتاه الله حظًا من العلم أن يتقي الله في علمه بالعمل به، وتعليمه لمن لا يعلمه، خصوصًا عندما يرى تقصيرًا، في الطاعة، أو ارتكابًا للمعصية من أي من الناس، كائنًا من كان وأيًا كان. قال تعالى: ﴿ لَولَا ينهاهُمُ الربَّانِيُّونَ والأحبارُ عن قولِهِمُ الإثمَ وأكلِهِمُ السُّحتَ لَبِئسَ ما كانوا يصنعون ﴾. [المائدة، الآية: ٦٣].

والمقصود بذلك الخاصة وهم العلماء، فإنهم ـ لما أتاهم من سلطان العلم بما أنزل الله، وأخذ عليهم من الميثاق على البيان لعباده ـ هم الحكام على الحكام، وقدوة العوام. فإن الجميع تبع لهم فيما قالوه وعملوا به وأحيوه. فعليهم أن يخلصوا النصحية ـ ابتغاء وجه الله ـ للعباد، وأن يقوموا بهذا الدين علمًا وعملًا وتعليمًا ودعوة للناس، وإلا كانوا عُرضة للوعيد الأكيد والعذاب الشديد. قال تعالى: ﴿ وإذ أَخَذَ الله ميثاقَ الذِينَ أُوتُوا الكتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تَكتُمُونَهُ ﴾. [آل عمران، الآية: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿ إنَّ الذينَ يكتُمُونَ ما أنزلنا مِنَ البيناتِ والهُدى من بعدِ ما بيَّناهُ للنَّاس في الكتابَ أولئكَ يَلعَنَهُمُ الله ويلعنهُمُ اللاعنون . إلاّ الذِينَ تابُوا وأصلحُوا وبينوُا فأولئكَ أَتُوبُ عليهِم وأنا التوَّابُ الرَّحِيم ﴾. [البقرة، الآيتان: ١٥٩ ـ ١٦٠].

وقال سبحانه: ﴿ ولو أَنهم فَعلُوا مايُوعظُونَ به لكانَ خيرًا لهمُ وأشدَّ تثبيتًا . وإذًا لأتيناهم من لدنَّا أجرًا عظيمًا . ولهديناهم صراطًا مستقيمًا . ومن يُطِع الله

والرَّسولَ فأولئكَ مَعَ الذِينَ انْعَمَ الله عليهم من النبيين والصديقين والشُهداءِ والصَّالحينَ وَحَسُنَ أولئكَ رفيقًا .ذَلِكَ الفضلُ مِنَ الله وكفى بالله عليمًا ﴾. [النساء، الآيات: ٦٦ - ٧٠].

فعليهم أن يأمروا بالمعروف ويكونوا أسرع بالناس إليه، وأن ينهوا عن المنكر وأن يكونوا أبعد الناس عنه، وإلا كانوا على خطر.

● ويجب على حكام المسلمين، وذوى المسئولية، فيهم من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مالا يجب على غيرهم لما أعطاهم الله من المسئولية وابتلاهم به من القدرة والسلطان فإنّ جميع الولايات الإسلامية إنما يقصد منها في الشرع إقامة الدين، وتحقيق مصالح المسلمين، ومن أسباب ذلك ووسائل حفظه إقامة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو من أوجب الطاعات وأجلها وأفضلها وأحسنها، ولا يتم إلا بالعقوبات الشرعية، وهم قادرون عليها لما أعطاهم الله من

السلطان، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

فعليهم أن يتقوا الله في مسؤولياتهم، ومن يرعون. فإنها أمانات في أعانقهم، فمن لم يؤدها كانت ولايته ومسؤوليته خزيًا وحسرة وندامةً يوم القيامة. فيجب عليهم إقامة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بالمقال ولسان الحال والتوجيه والكتابة والإلزام، والتأديب للمقصر، ما لا يجب على غيرهم، وأن لا تأخذهم في ذلك لومة لائم.

وعليهم وأن يستحضروا موقفهم بين يدي أحكم الحاكمين، يوم العرض عليه يوم يعرضون لا تخفى منهم خافية ﴿ يَوْمَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنُون . إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليمٍ ﴾. [الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩]. فإن الله تعالى سائلهم عن رعاياهم. قال، ﷺ: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته». وأعظم شيء يسألون عنه وأهمه أمر الدين. وفي الحديث الصحيح قال، ﷺ: «ما من عبد يَسْتَرْعِيهُ الله رعية فلم يُحِطْهَا بنصيحة، إلاّ لم يجد رائحة

الجنّة». [متفق عليه].

● ويجب على عامة المسلمين من الأمر والنهي، بحسب مالديهم من البصيرة والقدرة فان ذلك هو مناط الوجوب، كلٌ بحسب قدرته قال تعالى: ﴿ فاتقوا الله مااستطعتمُ ﴾. [التغابن، الآية: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ لا يُكلِّفُ الله نفسًا إلاّ وُسْعَهَا ﴾. [البقرة، الآية: ٢٨٥]. وعلى المسلمين رعاة ورعية أن يعينوا من سبق وقام بالأمر والنهي بحسب الحاجة، بالقول والفعل والدعاء الصالح وكل مايلزم لذلك، فإن ذلك من إعانتِهِ على الواجب، ونصرته على من يأمره وينهاه، أو من يعترض عليه عند أمره ونهيه. قال تعالى: ﴿ وتعاوَنوا على البِرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإِثْم والعدوان ﴾. [المائدة، الآية: ٢]. وقال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بالحقِّ وَتواصَوْا بالصَّبر ﴾. [العصر، الآية: ٣].





قواعد مهمة
للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمـر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أصل عظيم من أصـول الشريعـة الإسـلاميـة، وركن مهم من أركانها. فإنه من أعظم حقوق «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد. فهو من آكد قواعد الدين، وأعظم واجبات الشريعة، وأظهر شعائر الله، وأحد الثوابت في التشريع الإسـلامي، ولا صلاح للعبـاد والبـلاد في معـاشهم ومعـادهم إلا بالقيام به، وإظهـاره وتعـظيمه وتكميله بحسب الاستطاعة، وعلى قدر التقصير فيه، وإضاعته وإهماله يكون النقص وتحدث الفتن ويظهر الفساد في الأرض.

ولهذا جعله الله من أعظم فرائض الدين وأوجبه على عموم المسلمين ـ كل حسب حالته وقدرته ـ، ووصف سبحـانـه به المؤمنين الكُمَّل وأثنى عليهم بالقيام به، والتعـاون عليه والتـواصي به، وشهـد لهم بأنهم خير

الناس وأكملهم إيمانًا، وأنفع الناس للناس، وأعظمهم إحسـانًا إليهم، لأنهم أمروا بكل معروف، ونهوا عن كل منكر.

فأمروا كل أحد بكل معروف، ونهوا كل أحد عن كل منكر، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فأمروا بكل ما أمر الله به ورسوله، ونهوا عن كل مانهى الله عنه ورسوله، في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وعالجوا كل مشاكل الحياة وأحوال الناس وفق شرع الله المطهر، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فاتصفوا بالصلاح وقاموا بأعظم مهمة في الإصلاح وأخذوا بجميع أسباب الفلاح: ﴿ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾. [الحجرات، الآية: ٨].

فكانوا خير أمة أخرجت للناس، والشهداء على الناس في الدنيا والآخرة، وأكثر أهل الجنة: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾. [الجمعة، الآية: ٤].

فعلى ورثة الأنبياء في العلم والإيمان التابعين لهم بإحسان أن يجتهدوا في الدعوة إلى دين الله، وهداية

عباده إليه ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على نحو ماكان عليه سلف الأمة الصالح، رجاء أن يحشرهم الله معهم وأن يجمعهم به في أشرف المنازل، كما قال تعالى: ﴿ والسَّابِقونَ الأوّلونَ من المهاجِرين والأنصارِ والذينَ اتَّبعوهُم بإحسانٍ رضيَ الله عنهم وَرَضُوا عنه وأعدَّ لَهُمْ جناتٍ تجرى تحتها الأنهارُ خالِدِينَ فيها أبدًا ذَلِكَ الفوزُ العظِيم ﴾. [التوبة، الآية: ١٠٠].

فعليهم أن يتحروا أنجع الوسائل لتحصيل المقصود، وأن يسلكوا أفضل السبل لبلوغ الغاية المنشودة، واعتبار الأشخاص والأحوال والأزمان أصل كبير مهم في ذلك. فمن ضيعه وأهمله فجنايته على الشرع وعلى الناس أعظم جناية، وقد قرر العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ قواعدًا كلية وآداباً جزئية للأمر والنهى، ينبغى أن يراعيها الآمر والناهي لكي ينضبط منهجه ويؤمن شططه. ويتكلل بالنجاح سعيه، ويعود بالخير على نفسه ومجتمعه، بإذن الله تعالى.

وفيما يلي ذكر أهم تلك القواعد:

أولاً: الإخلاص لله تعالى في أمره ونهيه:

وذلك بأن يقصد بهما وجه الله تعالى، ليحصل المقصود وينال عظيم الثواب، فإن الله تعالى رتب عظيم الأجر على الأعمال التي يراد بها وجه تعالى، قال تعالى: ﴿ لا خيرَ في كثيرٍ من نجواهُمْ إلاّ مَنْ أمَرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين النّاسِ ومن يفعلْ ذَلِكَ ابتغاءَ مرضاةِ الله فسوفَ نؤتيهِ أجرًا عظيمًا ﴾. [النساء، الآية: ١١٤]. وفي الحديث الصحيح قال، ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء مانوى». [متفق عليه].

والنية هي عمل القلب، فإن كانت صالحة - بأن قصد بالعمل التقرب إلى الله تعالى - كانت سببًا في صلاح القلب، وتحصيل الأجر العظيم من الرب، فإن صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية، فمن سرّهُ أن يُكَمِّل الله عمله فليحسن نيته، وإن الله تعالى ليرفع العبد بعمله الذي يبتغي به وجه الله تعالى درجات، وتصبح عاداته إذا اقترنت بالنية الصالحة عبادات. كما في الحديث الصحيح

النبي ، ﷺ ، قال : «إنك لن تعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعه» . [متفق عليه .] وفيه أيضًا عن النبي ، ﷺ ، قال : «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها فهي له صدقة» . [متفق عليه] .

فالشأن كل الشأن في النية الصالحة ، فرب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية ، ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته ، فلا عمل لمن لا نية له ، ولا ثواب في الآخرة لمن لا يقصد بعمله وجه الله وإنما يُبعثُ الناس على نياتهم .

ولهذا قال بعض السلف ـ رحمهم الله ـ : «تعلموا النية ، فإنها أبلغ من العمل ـ يعني إخلاص النية ـ » .

كما قال آخر : «إنْو في كل شيء الخير» .

وقال آخر : «رأيت الخير كله ، إنما يجمعه حسن النية» . وكفاك بها خيرًا وإن لم تصب .

فعلى الآمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر ، أن يخلص قصده لله عز وجل ، بإن يريد بأمره ونهيه وجه الله تعالى ، وأن يتجرد من حظوظ النفس الأمارة

بالسوء، من طلب الشهرة، وطلب المنزلة في قلوب العامة، أو الطمع في تحصيل وظيفة دنيوية، أو شيء من حطام الدنيا الفانية، أو أن يظهر فضله في دينه أو علمه أو عمله أو عقله على من يأمره وينهاه، ونحو ذلك مما يزينه الشيطان ويكيد به الإنسان، ليبطل عمله، ويفسد سعيه، بل عليه بالإخلاص لله سبحانه والإستعانة به تعالى في أمره ونهيه، للقريب والبعيد، والصغير والكبير، والقوى والضعيف، والغني والفقير، ومن يعرف ومن لا يعرف، والراعي والرعية.

فإنه إذا أخلص النية لله واستعان به ـ يعلم الله ذلك منه ـ فإنَّ كلامه بتوفيق الله له وتسديده إياه يؤثر في القلوب القاسية فيلينها ويرققها، وفي الألسنة الحادة فيذهب تحدتها ويقيدها بالشرع، وفي الأيدى المعتدية الجائرة من الولاة وغيرهم فيعقلها ويكفها عن شرها وذلك من آثار عنايته تعالى ومعيته الخاصة لخاصة أوليائه التي أخبر عنها بقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الذينَ اتقوا والذينَ هُم مُحسِنُونَ﴾. [النحل الآية: ١٢٨].

ثانيا: العلم:

فلا يجوز للآمر والناهي أن يأمر وينهى إلا بعد العلم، بأنَّ ما يأمر به معروف، وما ينهى عنه منكر، والتمييز بينهما. ولابد من العلم بحال المأمور والمنهي، وهذا هو الصراط المستقيم الذي يتحقق به الصلاح والإصلاح، وهو أقرب الطرق لحصول المقصود، فإن الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، لا يكون صالحًا إلا إذا كان بعلم وفقه صحيحين، وإلّا كان مايفسد بأمره ونهيه أكثر مما يصلح فإن الخلل إنما يدخل غالبًا على بعض من يباشر الأمر والنهي ـ مع دينه وغيرته ـ من جهة قلة العلم، أو نقص الفهم والمعرفة بحال المأمور أو المنهي، أو بالمأمور به والمنهي عنه.

فمن أراد أن ينصب نفسه للدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قيامًا بما أوجب الله عليه من حقه، والنصح لعباده، وطمعًا فيما وعد الله به أهل تلك الأعمال من الأجر العظيم، والنعيم المقيم، فليتفقه في دينه وليأخذ العلم عن أهله الراسخين فيه،

السائرين في طريقه القويم طريق السلف الصالح المتمثل بمنهج أهل السنة والجماعة.

فالتلميذ على أيد العلماء قبل أن يترأس ويتصدى للأمر والنهي، حتى يقوم بذلك بحجة ودليل، ويدري كيف يسير بذلك السبيل، فإن الصناعة لا يعرفها إلا من يعاينها، والعلوم لا يدريها إلا من أخذها عن أهلها وصحب رواتها.

قال بعض السلف: «إنّ هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

وقال آخر: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

ولهذا أوصى الله تعالى وأمر بالعلم، قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿ فاعلَمْ أنّه لا إله إلا الله واستغفِرْ لذنبك وللمؤمنينَ والمؤمناتِ والله يعلمُ مُتقلَّبكُم وَمَثواكُم ﴾. [محمد، الآية: ١٩]. وأمر سبحانه نبيه محمدًا، ﷺ، أن يبين للناس أن دعوته مبنية على العلم، وهكذا أتباعه، وهو البصيرة. قال تعالى:

هذهِ سَبيلي أدعوا إلى الله على بصيرةٍ أنا وَمَن اتَّبعنِي وَسُبحانَ الله وما أنا مِنَ المشرِكين ﴾. [يوسف، الآية: ١٠٨]. أي على علم فيما أدعو إلى فعله وما أدعو إلى تركه، وقال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين». ونبه، ﷺ، معاذًا ـ حين بعثه إلى اليمن ـ بحال من يقدم عليهم، فقال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب...». الحديث. فمن أراد الخير لنفسه وللناس في العاجل والآجل فليتفقه في دينه، وليتحرّ سنّة نبيه، ﷺ، فيما يأتي ومايذر وما يعلن وما يُسرّ. وليفقه في واقع المجتمع الذي يعيش فيه، وحال القوم الذين يخاطبهم ويتعامل معهم.

ثالثا: الرفق في الأمر والنهي:

فإنَّ ذلك مدعاةً لقبول الناس منه، وانتفاعهم بكلامه، والتفافهم حوله، وإعانتهم له، بل ومدافعتهم عنه. وهذا هو خُلقُ النبي، ﷺ، في دعوته وأمره ونهيه ـ غالبًا ـ ولهذا إمتنَّ الله تعالى على نبيه، ﷺ، بقوله:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. [آل عمران، الآية: ١٥٩]. وامتن تبارك وتعالى على عباده المؤمنين ببعثه رسوله الكريم إليهم، وبما هو عليه من الخلق العظيم، إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. [التوبة، الآية: ١٢٨].

فوصف الله سبحانه وتعالى رسوله وخليله محمدًا، ﷺ، بصفات عظيمة جليلة.

منها: أنه منهم ﴿من أنفسكم﴾. يعرفون صدقه، وأمانته، وشرفه، وفضله، ونصحه، مما يقتضى أن يستمعوا إليه، ويقبلوا منه.

وفي قوله: ﴿من أنفسكم﴾. تنبيه أن يخاطبهم بلسانهم، وأنه على علم بأحوالهم، مما يقتضي وضوح البيان وتمام المعرفة بواقع الحال، مع ما بينه وبينهم من الرحم، وفي ذلك من قيام الحجة وقطع المعذرة والحث على قبول دعوته، واستنهاض الهمة على مناصرته ما لا يخفى.

ومنها: أنه يشق عليه ما شق عليهم.

ومنها: أنه حريص عليهم.

ومنها: أنه بهم رؤوف رحيم.

وناهيك بخلق أثنى الله عليه في القرآن، وعظمه في محكم البيان، إذ يقول تعالى: ﴿ وإنّك لَعلى خُلُقٍ عَظِيم ﴾. [القلم، الآية: ٤]. ولهذا أمضى النبي، ﷺ، دهره بمكة والمدينة وغيرهما، يدعو ويذكّر ويعظ وينذر في غاية من اللطف واللين. يُكَنِّى المخاطبين، ويقصد نوادى المترأسين منهم والمقدمين يدعوهم إلى الهدى ويتحمل منهم ألوان الأذى، وصنوف العذاب ويزيد على ذلك فيقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». فهذا ديدنه، ﷺ، في دعوته وأمره ونهيه، يأخذ بالرفق واللين، ولم يستعمل الغلظة والشدة، إلا حين لم يُجْدِ ذلك مع المخاطبين ـ مع تحقق القدرة وإنتفاء المفسدة ـ كما هو واضح من سيرته، وقد قال تعالى: ﴿ لَقدْ كَانَ لكُم في رَسُولِ الله أُسوةٌ حَسَنَةٌ لِمن كان يَرجُو الله واليومَ الآخِر وذكر الله كثيراً ﴾ [الاحزاب، الآية: ٢١].

فمن قرأ سيرته ولزم طريقته في دعوة أمته، كان أَكْمَلَ النّاس في متابعته، وأولاهم بوراثته، وأسعدهم بشفاعته، وأنصحهم لأمته. ولهذا لما كان صاحبه أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في ذلك كذلك أسلم على يديه من لا يحصون، وانتفع به من الخلق كثيرون، كيف لا وقد قال، ﷺ، فيمن خالف طريقته: «إنّ منكم منفرين».

وكم في سنة النبي، ﷺ، القولية والفعلية، مما يبين فضيلة الرفق في الدارين، وزينته في الآمرين والناهين، وحسن عاقبته، وجميل أثره في المخاطبين، فقد قال، ﷺ، لأشج عبدالقيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما، الله، الحلم والأناة». رواه مسلم. وفي الصحيحين عنه، ﷺ، قال: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله». وفي رواية لمسلم قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ماسواه». وقال، ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلّا زانه، ولا ينزع من شيء إلّا شانه». رواه

مسلم. وقال، ﷺ: «من يحرم الرفق، يحرم الخير كله». رواه مسلم. وفي صحيح البخاري: «بال أعرابي في المسجد! فقام الناس إليه ليقعوا فيه فقال، النبي، ﷺ: دعوه! وأريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو دنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين». وعند الترمذي وحسنه قال، ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار. تحرم على كل قريبٍ هينٍ لينٍ سهل».

فينبغي للآمر والناهي أن يتقي الله في عباد الله، فيلزم الرفق بهم واللين معهم حين يأمرهم وينهاهم، حتى لا يصدهم عن هدى أو يوردهم ردى، وليكن في ذلك مقتديًا بالنبي، ﷺ، فإنه، ﷺ: «ماخُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، مالم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا، كان أبعد الناس عنه».

فلا يحل للآمر والناهي أن يتسم بالشدة، ويأخذ بالغلظة، ما وجد مندوحة عن ذلك، لكن إذا كان ذا سلطان وترجحت المصلحة وانتفت المفسدة فلا بأس

بالشدة إذا اقتضى المقام ذلك. فإن اشتبه عليه الأمر، فعليه بمراجعة نصوص الكتاب والسنة، وقواعد الشريعة، وكلام أهل العلم المعتبرين، إنْ كانت لديه الأهلية لذلك، لمعرفة الراجح بالدليل، وإلا فعليه بما وجه الله تعالى إليه أمثاله بقوله سبحانه: ﴿ فَاسْأَلُوا أهلَ الذِّكر إن كُنتمُ لا تَعْلَمُون ﴾. [النحل، الآية: ٤٣]. وقوله: ﴿ وَلَو رَدُّوه إلى الرسُولِ وإلى أولي الأمرِ مِنهُم لعَلِمَهُ الذِينَ يَسْتَنبطُونَه مِنْهُمْ ﴾. [النساء، الآية: ٨٣]. ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، وفكر في عاقبة أمره، ولم يتدخل فيما ليس من شأنه.

رابعا: الصبر على أذى الخلق:

يقول تعالى: ﴿ وَأمُر بالمعروفِ وانْهَ عنَ المنكرِ واصْبِرْ عَلَى ما أصابَكَ إنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمُور ﴾. [لقمان، الآية: ١٧]. وقوله جل ذكره: ﴿ خُذِ العفْو وأمُر بالعُرفِ وأعرِض عَنِ الجاهِلِينَ ﴾. [الأعراف، الآية ١٩٩].

فإن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مقام الرسل، وهو من أشق ما يتحمله المؤمن، لأن القائم به

يثقل على غالب الناس، وتنفر منه نفوس ذوى الهوى، ومتبعي الشهوات، فإنه - في نظرهم - ينهاهم عن شهواتهم، ويحاول أن يصدهم عن رغباتهم، وأن يلزمهم بخلاف عاداتهم. لذا فإنه عليه أن يصبر إذا أوذي في الله - بسبب ذلك - أو سمع من الناس مايكره، فإن «الصبر ضياء». [رواه مسلم]. وفي الصحيحين عن النبي، ﷺ، قال: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر». وقال، ﷺ: «واعلم أن في الصبر على ماتكره خيراً كثيراً».

فهذه النصوص وأمثالها في الكتاب والسنة كثير، مما يوطن المسلم على الصبر، وهو حبس النفس على ماتكره من الخير وعن ما تحب من الشر، وعن الجزع الضار بها حين تتعرض للأذى ابتغاء وجه الله، حتى يصبح الصبر سجية له. وإنما كان الصبر أعظم العطايا وأحب الخلال إلى الله تعالى، لأن العبد يحتاج إليه في جميع عباداته.

- فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله حتى يؤديها على

أكمل وجه يستطيعه، ويحافظ عليها ولا يملَّها أو يسأم منها، ـ ومن ذلك عبادة الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ.

● وإلى الصبر عن معصية الله، حتى يصبر عنها ويهجرها وإن اشتهتها نفسه.

● والصبر على أقدار الله المؤلمة، حتى لا يتسخطها.

ومن ذلك مايواجه الآمر والناهي من أذية الخلق القولية والفعلية، فلا يترك الأمر والنهي من أجل ذلك، أو يقابل السيئة بمثلها، بل يفعل ما أمره الله تعالى به بقوله: ﴿ وَلَا تستوى الحَسَنَةُ ولا السيئةُ ادفَع بالتي هى أحسنُ فإذَا الذي بينكَ وبينهُ عداوةٌ كأنَّهُ وليٌّ حَمِيمٌ . ومـا يُلقَّاها إلاّ الذينَ صبروا وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم ﴾. [فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥].

وقد وعد الله تعالى الصابرين ابتغاء وجهه ـ وأولاهم بذلك أهل الأمر والنهي والدعاة إلى الله ـ منحًا عظيمة، وعطايا كريمة، وأخبر أنه تعالى معهم المعية الخاصة بأوليائه، التي مقتضاها الإعانة والعناية واللطف

والتسديد والتوفيق والمحبة، وتثبيت القلوب والأقدام، وتيسير الأمور، إضافة إلى معية العلم والإحاطة والاطلاع. فقال تعالى: ﴿ واصبروا إن الله مع الصّابرين ﴾. [الانفال، الآية: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿ وَلَنَجزِينَّ الذينَ صَبَروا أَجْرَهُم بِأحسَنِ مَاكَانُوا يعملون ﴾. [النحل، الآية: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿ أولَئكَ يُؤْتونَ أجرَهُم مرَّتينِ بما صَبروا وَيدرؤُن بالحَسَنَةِ السَّيئة وَمما رَزَقناهُم يُنفقون ﴾. [القصص، الآية: ٥٤]. وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنهم أَئِمَّةً يَهدُونَ بأمْرنَا لَمّا صَبروُا وَكَانُوا بِأيَاتِنَا يُوقنُون ﴾. [السجدة، الآية: ٢٤]. وقال سبحانه: ﴿ إنِّي جَزَيتُهُمُ اليومَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهم هُمُ الفَائِزوُن ﴾. [المؤمنون، الآية: ١١١]. وقال تعالى: ﴿ إنَّما يُوَفَّى الصَّابرُونَ أجرَهُم بغَير حسَاب ﴾. [الزمر، الآية: ١٠]. وقال تعالى: ﴿ أولَئكَ يُجزوْنَ الغُرفَةَ بما صَبَروا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾. [الفرقان، الآية: ٧٥].

فرتب سبحانه على الصبر ابتغاء وجهه الجزاء على العمل مرتين وَتَوفِّيهِ الأجر بغير حساب، وأن يجعلهم

الله أئمة يهدون عباده بأمره، والفوز بالجنة وما فيها من النعيم المقيم وألوان التكريم، ورضوان الرب الكريم.

خامساً: النظر في المصالح والمفاسد التي قد تترتب على الأمر والنهي:

وذلك أن الشريعة الإسلامية مبنية على تحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتعطيلها أو تقليلها، إذا لم يمكن دفعها وتعطيلها مطلقًا. ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، قال تعالى: ﴿ولا تَسُبوا الذينَ يَدعُونَ مِنْ دُونِ الله فيسُبُّوا الله عَدْوًا بِغَير عِلمٍ﴾. [الأنعام، الآية: ١٠٨]. فلما كان سب آلهة المشركين ـ وهو مصلحة ـ يترتب عليه مفسدة أكبر، وهي أن المشركين لجهلهم وَكِبْرِهِمْ وعنادهم قد يسبون الله تعالى غضبًا لآلهتهم. فقد نهى الله المسلمين عن سب آلهة المشركين، درءًا لهذه المفسدة الكبرى.

ومن هذه الآية وأشباهها من نصوص الكتاب والسنة، استنبط أهل العلم القاعدة المشهورة: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح». فعند تعارض

المصلحة والمفسدة بحيث تكون المفسدة راجحة على المصلحة أو مماثلة، فلابد للآمر والناهي أن ينظر فيما ينبني على أمره من المصالح والمفاسد، والموازنة بينهما وترجيح الراجح منها. واعتبار مقادير المصالح والمفاسد إنّما يكون بميزان الشرع، لا بهوى النفوس وميل الطباع.

- **فإذا كانت المصلحة الحاصلة بالأمر أو النهي أعظم** من المفسدة، أو كانت المفسدة منتفية، كان الأمر أو النهي مأمورًا به.
- **وإن كانت المصلحة** التي تفوت أو المفسدة التي تحدث أكبر، لم يكن الأمر والنهي مأمورًا به بل يكون محرمًا، وقد يكون الآمر والناهي آثمًا.
- **وإن تساوت المصلحة والمفسدة**، لم يأمر ولم ينهى، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.
- **وإن اشتبهت الحال عليه**، فلم يترجح لديه أي من المصلحة أو المفسدة، انتظر حتى يتبين له الراجح بواسطة المطالعة والبحث في النصوص، أو سؤال

أهـــل العلم بهذا الخصـــوص، لقـولـه تعـالـى: ﴿ فأَسـألـوُا أهـلَ الـذكـرِ إنْ كُنْتم لا تعلَموُن ﴾.
[النحل، الآية: ٤٣].

سادسا: الأمر والنهي بحسب الاستطاعة:

وذلك أن كل مؤمن مأمور شرعًا أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكـــر، على قدر طاقتـــه، قال تعـــالى: ﴿ فاتَّقُوا الله ماالستطعتُم ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ لا يُكلِّفُ الله نفسًا إلا وُسعَهَا لها ماكَسَبتْ وَعَليهَا ماااكتسبت رَبَّنَا لا تُؤاخِذنا إنْ نَسينَا أَو أخطَأنا رَبَّنَا ولا تَحْملْ عَلَينا إصرًا كما حَمَلْته على الذينَ مِنْ قَبْلِنَا ربنا ولا تُحمِّلنْا مَا لاَ طَاقَةَ لنا بِهِ ﴾. [البقرة، الأية: ٢٨٦]. وثبت في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ: «أن الله تعـالى يقـول: عند كل دعوة من هذه الدعوات ـ قد فعلت».

فمن أمر بالمعروف حين يرى تقصيرًا فيه، أو نهى عن المنكـر عندما يرى ارتكابًا له حسب قدرته، فقد

اتقى الله ماستطاع ـ والله تعالى مطلع على الأحوال عليم بالنيات ـ، ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن النبي، ﷺ، قال: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، **فان لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**. فمن رأى معروفًا واجب الظهور أُخفِيَ فعله وَقَدِرَ على إظهاره أفترض عليه أن يعمل على إظهاره، بقوله وفعله حسب قدرته، وكذلك إذا رأى منكرًا أو علم به ولم يكن في المكان غيره أو من هو أولى منه، صار إنكاره فرضًا عليه باليد أو اللسان أو القلب كما في الحديث.

أما الأمر بتغيير المنكر نصًا ـ فلعل من حكمته أن المقصود منه إزالة المنكر الظاهر كليًا، حتى لا يهلك به صاحبه ويفتتن به من حوله. أو تخفيفه ـ على الأقل ـ إن لم يمكن إزالته كليًا مع تنبيه الناس على أنه منكر ليحذروه، ويعرفوا حال مرتكبه. فإن المنكر إذا خفي لم يضر إلّا صاحبه، أمّا إذا ظهر ولم يغير فإنه يضر العامة، كما روي عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**لا تزال لا إله إلا**



الله تنفع قائلها وترد عنهم النقمة والعذاب مالم يستخفوا بحقها. قيل: يارسول الله! وما الإستخفاف بحقها؟ قال: يظهر العمل بمعاصي الله، فلا ينكر ولا يغير».

قال بعض أهل العلم: «ظهور المعصية ليس معناه أنها تظهر في الأسواق وتشتهر علانية، بل إذا تَحدَّثَ الناس بها وفشى القول بينهم فيها، فهذا ظهورها».

قلت: ولا شك أنَّ تغيير المنكر ليس بالأمر السهل الميسور، ولكن بحسب المؤمن أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه وطاقته ـ يعلم الله ذلك منه ـ، ولهذا سمى النبي ﷺ، تغيير المنكر جهادًا ـ وذلك عند ذكر الخلوف الذين يأتون بعد القرون المفضلة وأنهم يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون ـ فقال: «فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل». ـ يعني أن كراهة المنكر وبغض فاعله هو جهاد القلب، وهو أقل عمل يقوم به المؤمن نحو المنكر يثاب عليه؛ فليس دونه عمل

للقلب ينال به الثواب. وإنما سمي جهادًا لما فيه من غاية بذل الجهد نصرةً لدين الله ونصحًا لعباده، بحسب ما يمكن من مراتب التغيير المشار إليها في الحديث.

توضيح مراتب تغيير المنكر:

الأولى: التغيير باليد:

وذلك فيما إذا كان للمُغيِّر ولايةٌ على مرتكب المنكر «من ملكٍ أو رئيسٍ أو نحوهما»، أو من ينيبه عنه كوَآلي الحسبة «الرئيس العام للهيئات» وموظفيه الأصول أو الفروع، كل بحسب اختصاصه وما أعطي من سلطات، بالنسبة لآحاد الرعية.

وكالوالد بالنسبة لولده، والزوج بالنسبة لزوجته، ونحو ذلك. فللولي أن يغير المنكر ويزيله بإتلاف مادته من آلة، أو كتاب، أو صورة، أو مطعوم، أو مشروب ونحو ذلك، أو بإبعادها عنه أو الحيلولة بينه وبينها، فيأخذ بها تترجح المصلحة فيه أو تزول المفسدة معه أو تقل. وهكذا من له منزلة وهيبة ـ من الخواص ـ عند

الناس بحيث يُجِلُّونَهُ ويهابونه فله أن يفعل ذلك، إذا لم يترتب على تغييره مفسدة أعظم.

ولقد صح عن النبي، ﷺ: «أنه قطع خيطًا من يد رجل». «ونزع خاتم ذهب من يد رجل آخر». [رواه مسلم]. ونظير هذا كثيرًا من فعله، ﷺ، وصح مثله كثيرٌ عن أئمة الهدى من أصحابه وأتباعه والتابعين لهم بإحسان الى يومنا هذا، مما لا يمكن استقصاؤه فضلاً عن حصره.

الثانية: التغيير باللسان:

وذلك حينما لا يستطيع من - رأى المنكر - تغييره بيده لعدم سلطته على مرتكبه، أو لما يترتب عليه من المفسدة المساوية أو الراجحة، فإنه ينتقل إلى التغيير باللسان بالوعظ، والترغيب، والترهيب، ونحو ذلك من البيان.

وهذه المرتبة يلتقي فيها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالدعوة إلى الله، فكلاهما بيان للحق وترغيب فيه وتنبيه على الباطل وتحذير منه وترهيب وزجر عنه بما يناسب حال المخاطب، ويقتضيه المقام.

الثالثة: التغيير بالقلب:

وهو كراهة المعصية، وبغض أهلها بقلبه ـ يعلم الله ذلك منه إذا عجز عن تغييرها بيده ولسانه ـ، وهذا الواجب لا يسقط عن المؤمن بوجه من الوجوه، إذ لا عذر يمنعه ولا شيء يحول بينه وبينه، وليس هناك من التغيير ماهو أقل منه، ولهذا قال، ﷺ: «**وذلك أضعف الإيمان**». يعنى أقل مايمكن به تغيير المنكر ـ. وفي الحديث الآخر: «**وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل**». أي لم يبق بعد هذا من الإنكار مايدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن ويثاب عليه، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان.

تنبيـــــه:

مما ينبغى ذكره في هذا المقام، أن من علم بوجود منكر في أي موضع من البلد ولا يستطيع تغييره لا بنفسه ولا بغيره، فإنه يجب عليه أن لا يحضر إلى ذلك الموضع ـ من مجلس أو مناسبة ونحوهما ـ، حتى لا يشاهد ذلك المنكر فإنَّ عَجْزَهُ عن الإنكار ليس عذرا

يبيح له القعود في ذلك المكان، أو مشاهدة ذاك المنكر.

فلا يجوز لعاجز عن تغيير المنكر - المعلوم لديه -، بلسانه ويده، الذهاب إلى أماكن الظلم والفسق، ومواطن اللهو والمنكرات - من غير ضرورة -، وهكذا كل مكان يجاهر فيه بمعصية الله، ولا يمكن إزالة تلك المعصية، أو تخفيفها. قال تعالى: ﴿ وإِذَا رأيتَ الذِينَ يَخُوضُونَ في آياتِنَا فَأَعرِض عَنْهُمْ حتَّى يَخُوضُوا في حديثٍ غيره ﴾. [الأنعام، الآية: ٦٨]. وقال سبحانه: ﴿ وَقَدْ نزَّلَ عليكُمْ في الكتاب أَنْ إذَا سمعتم آيات الله يُكْفَرُ بها ويُستهزأُ بها فلا تَقْعُدُوا معهم حتَّى يَخُوضُوا في حديثٍ غَيرِهِ إنّكُم إذاً مثلُهُم ﴾. [النساء، الآية: ١٤٠].

* * *



تنبيهات وفوائد وآداب تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

* ينبغي لمن قَصْدُهُ الخير في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله التأكد من كل أمر والتثبت بشأنه وعدم التسرع والعجلة، والحرص على الرفق بالناس وملاطفتهم حال أمرهم أو نهيهم، فإن في ذلك من الخير ما لا يحصى وهذه مما لابد منه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

* وعلى المحتسبين والدعاة إلى الله تجنب الاختلاف والنزاع فيما بينهم في مسائل الفروع، فإن ذلك من وساوس الشيطان التي يصد بها عن العمل المشروع، بل يتعين عليهم أن تكون كلمتهم واحدة، وأن تكون دعوتهم بالتي هي أحسن، خصوصًا في هذا الزمان الذي يعد زمان غربة، فإن المقام فيه مقام دعوة وبيان ـ غالبًا ـ.

فإنه كما وصفه النبي، ﷺ، فيما يُروى عنه بقوله: «إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيا مؤثرة، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام». وهذا بعد قيامك بالأمر والنهي، والدعوة إلى الله، ثم لم يقبل منك، لقوله تعالى: ﴿ ياأيها الذينَ آمنوا عليكُم أنفُسَكُم لا يضرُكُم مَنْ ضَلَّ إذا اهتَدَيتمُ ﴾. [المائدة، الآية: ١٠٥]. والمعنى: إذا اهتديتم بقيامكم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلا يضركم ضلال الضالين، بل هو على أنفسهم.

ولا حجة في الآية على ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بسبب ضلال الضالين، فإن الذى يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ليس مهتديًا بتركه، بل هو ضال بتركه لذلك، فإن الواجب عليه أن يقوم به حسب طاقته.

* ولا يختص الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بأصحاب الوظائف، بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين ـ كل حسب قدرته ـ لقوله، ﷺ: «من رأى منكم منكرًا

فليغيره بيده...». الحديث. ونحوه من نصوص الكتاب والسنة، الدالة على أن كل من رأى منكرًا فسكت عليه ـ مع قدرته على تغييره ـ فقد عصى الله ورسوله، أينما رأى المنكر وكيف رآه على العموم بلا تخصيص.

* قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ «لا يشترط في الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يكون كامل الحال ـ يعني في الاستقامة ـ، ممتثلًا لما يأمر به، مجتنبًا لما ينهى عنه ـ، بل عليه الأمر وإن كان مخلًا بما يأمر به أو كان متلبسًا بما ينهى عنه ـ وأنه يجب شيئان:

احدهما: أن يأمر نفسه وينهاها.

الثاني: أن يأمر غيره وينهاه.

فإذا أخل بأحدهما، كيف يحل له الإخلال بالآخر؟!

وقد صح في الحديث: «إن الله يؤيد هذا الدين، بالرجل الفاجر».

* وقال النووي أيضًا: «لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لكونه لا يفيد في ظنه، بل

عليه فعله، ﴿ فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾. فعلى المسلم الأمر والنهي، وليس القبول، فقد قال الله عز وجل: ﴿ ما عَلى الرسُول إلاّ البلاغ ﴾. [المائدة، الآية: ٩٩]. وقال تعالى: ﴿ فإن أعرضُوا فما أرسلناك عليهِمْ حفِيظًا إن عليكَ إلاّ البلاغ ﴾. [الشورى، الآية: ٤٨] ».

قلت: وفيه معذرة إلى الله تعالى، وإظهارٌ لشعيرة الأمر والنهي، وربما يهتدي به المأمور أو المنهي أو غيره من حاضرٍ أو مارٍ، فإن الله تعالى قال: ﴿ معذرةً إلى رَبِّكُم وَلَعلَّهم يَتقون ﴾. [الأعراف، الآية: ١٦٤].

* قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في بعض رسائله إلى أحد إخوانه: «إن بعض أهل الدين ينكر منكرًا وهو مصيب، لكن يخطىء في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال تعالى: ﴿ ياأيُها الذينَ آمنُوا اتّقوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تموتُنَّ إلاَّ وأنتمُ مُسلِمُون . واعتَصِمُوا بحبلِ الله جميعًا ولا تَفرَّقُوا ﴾. [آل عمران، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣]. وقال، ﷺ: «إن الله يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن

تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تُناصِحُوا من وَلَّاهُ الله عليكم».

وأهل العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يحتاج إلى ثلاث:

- أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه.
- ويكون رفيقا فيما يأمر به وينهى عنه.
- صابرًا على ماجاءه من الأذى.

وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به، فإن الخلل إنّما يدخل على صاحب الدين من قلة العلم، أو ضعف الفهم والفقه، ويذكر أهل العلم أن إنكار المنكر إذا كان يحصل بسببه إفتراق لم يجز إنكاره.

فالله الله في العمل بما ذكرت لكم، والثقة فيه فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين، والمسلم مايسعى إلا لما فيه صلاح دينه ودنياه».

* وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمهم الله: قال الله تعالى: ﴿ولتكُن منكُم أمَّةٌ يدعُونَ إلى الخَير ويأمُرُونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عن المنكرِ وأولئك

هُمُ المُفلِحُون ﴾. [آل عمران، الآية: ١٠٤]. فهذه الآيات تدل على وجوبه - يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -، وأن القائم به خير الناس وأفضلهم، وأن الخيرية لا تحصل إلاّ بذلك، وفيها أن الفلاح محصور في أهل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو الفوز بالسعادة الأبدية».

* وقال - أيضًا - الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -: «والإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة، فأول درجات الإنكار معرفتك أنه مخالف لأمر الله... إلى أن قال: وعلى أي حال، فلا يجوز لهم إنكار كل مسألة لا يعرفون حكم الله فيها... إلى أن قال: وهذه مسألة جليلة ينبغي التفطن لها وهو قوله تعالى: ﴿ ياأيُّها الـذينَ آمنُـوا إنْ جاءَكُم فاسقٌ بِنَبأ فَتَبيَّنُوا﴾. [الحجرات، الآية: ٦]. فالواجب عليهم إذا ذُكِرَ لهم عن أحدٍ منكر عدم العجلة، فإذا تحققوه أتو صاحبه ونصحوه، فإن تاب ورجع وإلا أنكر عليه وتكلم فيه».

* وعلى الآمر والناهي، أن يقوم بذلك على الغني

والفقير، والقريب والبعيد، والشريف والوضيع، لا يخاف في الله لومة لائم. ففي الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي، ﷺ: «إنّما هلك بنوا إسرائيل، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها».

* وتحرم الشفاعة لأهل الجرائم في الحدود، إذا بلغت جهات الاختصاص. فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «من حالت شفاعته دون حدٍ من حدود الله، فقد ضاد الله في أمره». وفي الموطأ: «إذا بلغت الحدود السلطان، فَلَعَنَ الله الشافع والمشفع». وفي الصحيح من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال: «لعن الله من آوى محدثًا».

* قال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ـ رحمه الله ـ: «ومما نوصيكم به... البصيرة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن الإنسان إذا أمر بأمر من أمور الخير نظر فيه.

فإن كان يترتب على ذلك الأمر خير في العاجل والأجل، وسلامة في الدين والدنيا، وكان الصلاح في الأمر به، مضى فيه بعلم وحلم ونية صالحة.

وإن كان يترتب على ذلك شر وفتنة وتفرق كلمة، ومضرة في الدين والدنيا، وكان الصلاح في ترك ذلك وجب تركه ولم يأمر به، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح».

* قال الإمام الحسن البصري - رحمه الله -: «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وإلّا كنتم أنتم الموعظات». يعني: يوعظ بكم غيركم، لما يحل بكم من سخط الله ولعنته، بسبب ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

* قالت أم الدرداء - رضي الله عنها -: «من وَعَظَ أخاه سرًا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه».

وكان أصحاب عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - إذا مرّوا بقوم فرأوا منهم ما يكرهون، يقولون: مهلاً رحمكم الله.

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «الناس يحتاجون إلى مداراة، ورفق في الأمر بالمعروف، بلا غلظة، إلا رجلاً معلنًا بالفسوق والردى، فيجب عليك نهيه وإعلانه، لأنه يقال ليس لفاسق حرمه فهذا لا حرمة له».

وقال أحد أئمة السلف: «ماأغضبت أحدًا فقبل منك».

* ينبغي للمرء أن يغضب لله تعالى أعظم مما يغضب لنفسه، أو لقريبه إن كان مؤمنًا، فإن الله تعالى أحق أن يغضب له وأن تُؤثَر طاعته على هوى النفس وطاعة كل أحد.

ولكن بعض الناس يغضب على من أنكر عليه، أو على قريبه أو صديقه لمنكرٍ إرتكبه، وهذا خطأ فإنه لا يؤمن المرء حتى يكون هواه تبعًا لما جاء عن النبي، ﷺ.

* قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ:

«اعلموا أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا يقطع رزقًا، ولا يقرب أجلاً، بل بالقيام به يفسَحُ في

الأجل، ويبسط به الرزق، وتحصل به البركات، وتستدفع به النقمات، وتمحى به من الأرض الآفات، فمن قام به تمت عليه النعمة وفاز بالجنة.

روى الإمام أحمد عن عدي بن عميرة مرفوعًا: «**إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة**».

وأنتم ترون كيف تُحدِثُ الذنوب الآفات في الزروع والثمار والأنفس؟! آفات متلازمة! آخذ بعضها برقاب بعض، كلما أحدث الناس ظلمًا وفجورًا أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم، وفواكههم، ومياههم، وأبدانهم، وخلقهم، وصورهم، ماهو مُوجَب أعمالهم وظلمهم وفجورهم، ولا يظلم ربك أحدًا.

* وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن أيضًا: «القصد من التشريع والأوامر تحصيل المصالح، ودرء المفاسد حسب الإمكان، وقد لا يمكن إلّا مع ارتكاب

أخف الضررين، أو تفويت أدنى المصلحتين. واعتبار الأشخاص والأزمان والأحوال أصل كبير، فمن أهمله وضيعه فجنايته على الشرع وعلى الناس أعظم جناية».

وقال ـ رحمه الله ـ أيضًا: «وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سبيل المداهنة والمعاشرة وحسن السلوك ونحو ذلك مما يفعله بعض الجاهلين أعظم ضررًا وأكبر إثمًا من تركه لمجرد الجهالة، فإن هذا الصنف رأوا أن السلوك وحسن الخلق ـ مع الناس ـ ونيل العيش، لا يحصل إلا بالمداهنة فخالفوا الرسل وأتباعهم، وخرجوا عن سبيلهم ومنهاجهم، لأنهم يرون بالعقل إرضاء الناس على طبقاتهم، ويسالمونهم ويستجلبون مودتهم ومحبتهم، وهذا مع أنه لا سبيل إليه فهو إيثار للحظوظ النفسانية والدعة ومسالمة الناس، وترك المعاداة في الله، وتحمل الأذى في ذاته. وهذا في الحقيقية هو الهلكة في العاجلة والآجلة فما ذاق طعم الإيمان من لم يوالي في الله ويعادي فيه.

فالعقل كل العقل ما أوصل إلى رضى الله ورسوله،

وهذا إنما يحصل بمراغمة أعداء الله، وإيثار مرضاته، والغضب إذا انتهكت محارمه. والغضب ينشأ من إرتقاء الإيمان، فإذا عدم الحياء والغيرة، وعدم الغضب لله، وسوّى بين الخبيث والطيب في معاملته وموالاته ومعاداته، فأي خير يبقى في قلب هذا الإنسان.

* قال سفيان - رحمه الله -: «ينبغي لمن وَعَظَ أن لا يُعنِّف ولمن وُعِظَ أن لا يأنف».

قلت: وَيَذْكُرُ لمن يعظهُ مايناسب الحال، وما يحصل به المقصود، ولا يطيل. ولكل مقام مقال ولكل فن رجال

* للولد أن يأمر والده وينهاه، **بالوعظ والنصح** مع الرفق والتلطف في الكلام. وليس له مقابلته بالسب والتعنيف وتخشين الكلام، فضلاً عما هو أكبر منه، من التخويف والتهديد والضرب.

وإنما خصص الوالد بهذه التفاصيل، مع أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ورد عامًا من غير تخصيص، لأن الوالد قد ورد في حقه، مايوجب الإستثناء من العموم.

سئل الحسن البصري.. ـ رحمه الله ـ:

«عن الولد كيف يحتسب على الوالد؟! ـ أي كيف يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر ـ؟! قال: يعظه مالم يغضب. فإن غضب سكت»

* أمور من ذكَرَهَا واحتَسَبَها عند الله نشط في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي:

- رجاء ثواب الله، بالقيام به وخوف عقابه بتركه.
- والغضب لله، عند إنتهاك محارمه.
- والنصيحة للمؤمنين، ورحمتهم والشفقة عليهم.
- ورجاء إنقاذهم، مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة.
- وإجلال الله وإعظامه، ومحبته، فإنه أهلٌ أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويُشْكَر فلا يكفر.
- وأن يفتدي من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال.

قال بعض السلف: وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وأن لحمي قرض بالمقاريض.

فمن لحظ هذا المقام، هان عليه ما يلقى من

الآلام، وربما دعا لمن آذاه لكون ذلك في الله. قال، النبي ﷺ: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

* هِجْرَةُ أهل المعاصي، تختلف باختلاف الأشخاص. والأحوال والأزمان.

● فإن كان الهَجْرُ يزجر العاصي، ويزجر أمثاله عن المعصية هَجَرَهُ.

● وإن كان لا ينزجر ولا يرتدع لا هو ولا أمثاله، روعي فيه الأصلح.

فإن النبي، ﷺ، هجر من علم أن هجره يزجره ويردعه، مثل كعب بن مالك وصاحبيه - رضي الله عنهم -، وَقَبِلَ معذرة من علم أن الهجر لا يزجره ولا ينجح معه، كالمنافقين، ووكّل سرائرهم إلى الله.

* ينبغي للمسلم إذا أمره أحد بمعروف، أو نهاه عن منكر، أن يقدم طاعة الله فيذعن لذلك، ويقابله بالرضا والتسليم والعرفان بالجميل وقبول النصيحة والمبادرة إلى فعل المأمور به، وترك المنهي عنه، فإن ذلك من أسباب الهداية والفلاح، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

قال تعالى: ﴿ إِنَّما كانَ قَولَ المؤمِنينَ إذَا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكُمَ بينَهُمْ أن يقُولُوا سمِعْنا وأطَعْنا وأولئك هُمُ المفلحُون. ومن يُطِع الله ورسولَهُ ويخش الله ويتَّقْهِ فأولَٰئكَ هُمُ الفائِزون ﴾. [النور، الآيتان: ٥١، ٥٢]. وقال سبحانه: ﴿ ولو أنهم فَعلوُا مايوعظونَ به لكانَ خيرًا لَهم وأشدَّ تثبيتا. وإذًا لآتيناهم من لَدُنَّا أجرًا عظيمًا. ولهديناهم صراطًا مستقيمًا. ومن يُطِع الله والرسُول فأولَٰئك مع الذين أنعَمَ الله عليهِمْ مِنَ النبيينَ والصدِّيقينَ والشُهداءِ والصالحينَ وحسن أولَٰئك رفيقًا. ذلِكَ الفضلُ مِنَ الله وكفى بالله عليمًا ﴾. [النساء، الآيات: ٦٦ - ٧٠]. نسأل الله الكريم من فضله أن يجعلنا معهم.

* وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر - رحمه الله -: «إعلم أن تغيير المنكر يجب بحسب الاستطاعة، كما قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره..». الحديث. وحينئذ إذا وقع المنكر وبلغ الأمير فلم يغيره، لم يسقط إنكاره، بل ينكر بحسب الاستطاعة. لكن إن خاف حصول منكر أعظم منه سقط الإنكار، وأنكر

بقلبه. وقد نص العلماء على أن المنكر، إذا لم يحصل إنكاره إلا بحصول منكر أعظم منه، فإنه لا ينبغي تغييره، وذلك لأن مبنى الشريعة على تحصيل المصالح، وتقليل المفاسد».

* عن أبي خلّاد ـ رحمه الله ـ قال: «مامن قوم فيهم من يتهاون بالصلاة ولا يأخذون على يديه، إلا كان أول عقوبتهم أن ينقص من أرازاقهم».

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض على الكفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره.

والقدرة هي السلطان والولاية، فذوو السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم من الوجوب ماليس على غيرهم، فإن مناط الوجوب القدرة، فيجب على كل إنسان بحسبه، قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.

وجميع الوَلَايات ـ يعنى الوظائف في الدولة

الإسلامية، إنما مقصودها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها، ولا يتم إلا بالعقوبات الشرعية، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

* قلت: أمر الحكام بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، من أهم ميادين الأمر والنهي، إن لم يكن أعظمها، ولهذا قدّمهم النبي، ﷺ، على العامة في النصحية في قوله، ﷺ، في الحديث الصحيح: «الدين النصيحة - ثلاثًا - قالوا: لمن يارسول الله؟! قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم». لأنه بصلاح الحكام - أصلح الله حكام المسلمين - يصلح الناس، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

والحكام يحتاجون إلى النصيحة والتذكير أكثر من غيرهم، ويحتاجون إلى ناصح صادق مخلص عليم بأحكام الشرع، وأحوال الحكام والرعية في كل عصر فإلى من يتصف بالصراحة، وحسن البيان، وبلاغة الأسلوب، ووجازة القول أن ينبههم على ما قد يكونوا

وقعوا فيه من ظلم لأنفسهم، أو لأحد من رعيتهم، أو يبلغهم بخطأ وقع فيه أحد موظفيهم، أو مؤسسات دولتهم - والكل غير معصوم -، وكذلك هم بحاجة إلى من يفتح لهم مايعلم من أبواب الخير وهكذا.

● وقد كان لعلماء السلف - في كل زمان ومكان - مع حكام وقتهم المواقف الحكيمة الشجاعة، التى بلغت الغاية في النصح والبيان والهداية، بالتي هي أقوم بحسب ماتقتضيه الحال، وما يمليه الواجب الشرعي، دون شقٍ لعصا الطاعة، أو إثارة لفتنة، أو دعوة إلى طائفية، أو حزبية لغير الحق، بل كانوا - رحمة الله عليهم - لولاة أمور المسلمين نعم الصديق والناصح والدليل الأمين عند إشتباه الطريق، وذوي الغيرة الصادقة على دولة الإسلام وبيضة المسلمين أن تستهان أو تستباح.

* فكان مشاهير علماء السلف يطرقون أبواب الحكام ويحضرون - عند الحاجة - مجالسهم، لا من أجل الدنيا وحظوظ النفس المتنوعة، ولكن من أجل كلمة حق



يلقونها على أسماعهم، وفكرة صائبة يقذفونها في قلوبهم وعقولهم، لعل الله أن يشرح بها صدورهم فتصلح بها أحوالهم وأحوال رعيتهم، قيامًا بواجب النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وإعانة على الخير والبر والتقوى، فإن هداية الحاكم من أعظم الخير وأجلِّ ثمرات الجهاد، إذ بصلاحه صلاح البلاد وأحوال العباد.

* يقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ «حق على كل مسلم جعل الله في صدره شيئًا من العلم والفقه، أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير، وينهاه عن الشر ويعظه، ويصف ـ رحمه الله ـ ذلك فيقول: لأن العالم إنما يدخل على السلطان ليأمره بالخير، وينهاه عن الشر، فإذا كان ذلك، فهو الفضل الذي ليس بعده فضل».

* قلت: ذلك لأن العلماء دعاة بألسنتهم وأفعالهم وأحوالهم، وأصحاب السلطان دعاة بألسنتهم وسلطانهم.

وباتفاق العلماء والحكام وتعاونهم على الخير ـ وفق الكتاب والسنة ـ، تصلح الأحوال.

فإن العلماء ورثوا من النبوة العلم والبيان.



والحكام ورثوا من النبوة السلطان والسنان .

والله تعالى يقول: ﴿ لقد أرسلنَا رُسُلنَا بالبيِّنات وأنزلنا مَعهُم الكتابَ والميزانَ ليقومَ النَّاس بالقسطِ وأنزلنَا الحديدَ فِيهِ بأسٌ شَديدٌ ومنافعُ للنَّاسَ وليَعْلَمَ الله من يَنصرُه وَرسُلَهُ بالغيبِ إنَّ الله قويٌ عزيزٌ ﴾. [الحديد، الآية: ٢٥].

* ونصح عبدالله العمري هارون الرشيد فقال له - مامعناه - «إن كل واحد مسؤول عن نفسه، وأنت مسؤول عن الجميع . فبكى الرشيد . قال العمري: وأخرى أقولها. قال: قل ياعم. قال: والله إن الرجل ليسرع - يعني في إنفاق ماله - فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن أسرع في مال المسلمين؟! ثم مضى وهارون يبكى».

* قلت: هكذا كان علماء السلف - رحمة الله عليهم - يقفون في وجه الولاة منكرين، ناصحين، ناهين عن المظالم، آخذين بأيدى حكام زمانهم ليكونوا على نحو سيرة الخلفاء الراشدين - قدر المستطاع -، لأن ذلك هو الغرض من الولاية وهو المطلوب من

كل مسلم في أي زمان ومكان.

وكانوا ـ رحمة الله عليهم ـ يكلمون الحكام إذا ظهر منهم جور، أو انحراف بنوع من القوة والشدة ـ إذا اقتضت المصلحة ذلك شرعًا ـ، عملاً بقوله ﷺ «أفضل الجهاد كلمة حق، عند سلطان جائر».

* قال الخليفة المنصور لسفيان: «مامنعك أن تأتينا؟ قال سفيان ـ رحمه الله ـ إن الله نهى عنكم، فقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتمسَّكُم النَّارُ﴾. [هود، الآية: ١١٣]. ودخل ـ رحمه الله ـ يومًا على الخليفة المهدى فغلظ له في القول. فقال وزير المهدى: شططت، تُكَلِّم أميرٌ بمثل هذا. فقال سفيان: اسكت! ماأهلك فرعون إلا هامان ـ يعني وزيره ـ». وفي هذا تذكير للخليفة بخطر البطانة.

* وقيل للإمام مالك: «إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون. قال: الله يرحمك فأين المتكلم بالحق!».

* وقال الفضيل ابن عياض: لو كانت لي دعوة

مستجابة لجعلتها للإمام ـ يعني الخليفة ـ، لأنه به صلاح الرعية.

قلت: وروي مثل ذلك عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ.

* ودخل ابن السماك على الرشيد فقال: «إن لك بين يدي بالله موقفًا فانظر منصرفك منه، إلى الجنة أم إلى النار. فبكى الرشيد حتى كاد يموت».

* ودخل أبوحازم ـ رحمه الله ـ على أمير المدينة فقال له: «انظر! الناس ببابك إن أدنيت أهل الخير ذهب أهل الشر، وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير».

* ووعظ ابن الجوزي الخليفة المستضيء بأمر الله فقال له: «ياأمير المؤمنين! كن لله سبحانه مع حاجتك إليه كما كان لك مع غناه عنك، إنه لم يجعل أحدًا فوقك، فلا ترضى أن يكون أحدًا أشكر لله منك. فتصدق الخليفة بصدقات وأطلق محبوسين».

* وقال ابن السماك للخليفة: «أنت ولي الله في عباده، فإن أنا لم أنصح لك فيهم وأصدقك عنهم، لم أخف الله عز وجل إتق الله في رعيتك، وخف المرجع إلى الله عز



وجل، فإني لم أَرَ أحسن منك وجهًا، فلا تجعله لجهنم حطبًا».

وقال الشيباني للرشيد: «إن من يقول لك ـ يعني من الناس ـ إنك مسؤول عن الرعية فاتق الله، أنصحُ لك ممن يقول لك إنكم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة رسول الله، ﷺ، فبكى الرشيد حتى رَحِمَهُ مَنْ حوله».






الجديد
و
الحصري
NEW & EXCLUSIVE

الآثار الكريمة والعواقب الطيبة المترتبة على الأمر والنهي

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فريضة عظيمة، وشعيرة جليلة، لا يقوم بها على الوجه المشروع ـ قدر المستطاع ـ في سائر الأحوال إلّا كُمَّلُ الرجال، وخيرة خلق الله.

فمن شرح الله له صدره، ويسر له أمره فقام به جهده، فليحمد الله على جليل إنعامه وعظيم إحسانه. فكم فتح الله له من أبواب الخير، وهيأ له من أنواع البر، فليتق الله في ذلك وليجتنب أسباب المهالك ومقتضيات الفساد من الإعجاب، والغرور، وحب الشهوة، وقصد الظهور، والتعدي، والظلم، وليحذر أن تأخذه العزة بالإثم التى قد تدفعه إلى رد الحق وغمط الخلق وأذى الناس بغير حق، فإن تلك من أسباب فساد القصد، وحبوط العمل، وذهاب الأجر،

والتعرض لعظيم الإثم، وكبير الوزر، وعسر الأمر، وضيق الصّدر، وربما جرّت إلى سوء الظن بالله والوقوع في الكفر.

● ومن لم تكن له همة في الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، فليخش على نفسه النفاق وعلى قلبه من الزيغ، وَلْيَسْعَ في نجاة نفسه ـ بالقيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ، قبل أن يصيبه الله بقارعة لا تخطر له على بال، أو أن ينسيه الله نفسه فيهيم في أودية الضلال، فيكون ممن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسنًا. فيكون من الأخسرين أعمالاً كما قال تعالى: ﴿قُل هل ننبئكم بالأخسرينَ أعمالاً . الذينَ ضلَّ سعيُهُم في الحياةِ الدُّنيا وهُم يحسبونَ أنهم يحسنون صنعًا . أولئكَ الذينَ كَفَرُوا بآياتِ ربهِم ولقائِهِ فَحَبِطَتْ أعمالُهُم فلا نقيمُ لهُم يومَ القيامَةِ وَزنًا . ذلك جزاؤهم جهنَّمُ بما كفروا واتَّخذوا آياتي وَرُسُلي هُزُوًا﴾. [الكهف، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٦].

ومن أمارة هذا الصنف أنك تجده يكره الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، لقيامهم بذلك،



ويفرح ويسر بما يصيبهم من الأذى وأنواع الإبتلاء ويسخر بما قد يقع من بعضهم من الأخطاء، أو ينسب إلى أحد منهم على وجه الكذب والإفتراء، وكان الأولى به أن يبكي على نفسه، ويأخذ بأسباب نجاتها مما توعد الله به أمثاله من سوء الحساب، وشديد العقاب، مادام يمكنه المتاب، والسير في طريق الصواب.

● فإن في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من جليل الفوائد، وكريم العوائد وعظيم المصالح الخاصة والعامة، ودرء المفاسد والشرور عن الأمة كافة، مايدعو كل عاقل إلى الإهتمام به والحرص على أن يكون من أهله المتحلين به المسارعين إليه، ومحبة القائمين به وإعانتهم عليه لتحصيل ماوعد الله به القائمين بتلك الفريضة العظيمة، والشعيرة الجليلة، من الخير في العاجل والآجل ومن ذلك:

أولاً: أن الأمر والنهي من الهدي الذي جاءت به الرسل:

فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أكملهم حظًا عنده

فإن الله ـ سبحانه وتعالى إنما أرسل جميع رسله:

- بالامر بالمعروف: الذي أصله وأساسه توحيد الله، وتصديق الرسول وفروعه الأقوال والأعمال الصالحة.
- والنهي عن المنكر: الذي أساسه الشرك والبدع، وفروعه أنواع الفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿ وما أرسلنَا من قَبلِكَ من رسولٍ إلاَّ نوحِي إليهِ أنَّه لا إله إلاّ أنا فاعبُدُون ﴾. [الانبياء، الآية: ٢٥]. وقال سبحانه: ﴿ ولقَدْ بعثنَا في كُلِّ أمةٍ رسولاً أنِ اعبُدوُا الله واجتَنِبُوا الطاغُوت ﴾. [النحل، الآية: ٣٦].

ولهذا تجد كل رسول أول مايدعو قومه إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة من سواه. ثم ينهاهم عن أعظم المنكرات من الأعمال ـ كبخس الكيل والوزن والبغي والظلم ونحو ذلك.

ولقد وصف الله خاتم الأنبياء محمد، ﷺ، بالقيام بهذا الأمر كله على أكمل الوجوه وأحسنها، فقال تعالى: ﴿ الرَّسُولَ النَّبيَّ الأمِّيَّ الذِي يجِدُونَهُ مكتوبًا عندَهُم في التوراةِ والانجيلَ يأمُرُهم بالمعروفِ وينهاهم عن

المنكَرِ ﴾. [الأعراف، الآية: ١٥٧].

وبيَّن أن أهدى الناس سبيلاً، وأسعدهم في الدنيا والآخرة أكملهم قيامًا وعناية به. قال تعالى: ﴿ فالذينَ آمنُوا بهِ وعزَّرُوهُ ونصرُوهُ واتَّبعُوا النُّورَ الذِي أُنزلَ مَعَهُ أولئك هُمُ المفلِحون ﴾. [الاعراف، الآية: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ ومن يُطعِ الله والرسُول فأولئكَ مَعَ الذِينَ أنعَمَ الله عَلَيهِمْ من النَّبيينَ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ وحسنَ أولئكَ رفيقًا ﴾. [النساء، الآية: ٦٩].

ولا يكون الإنسان مهتديًا حقًا إلّا إذا كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، قال تعالى: ﴿ ياأيُّها الذينَ آمَنُوا عليكُم أنفسَكُم لا يضركم من ضَلَّ إذا اهتَدِيتُم ﴾. [المائدة، الأية: ١٠٥]. يعنى: أمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر.

ثانيا: الأمر والنهي اية صدق الإيمان وبشارة بحسن الخاتمة:

وصف الله أولياءه المؤمنين الصالحين السابقين واللاحقين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقال سبحانه في السابقين: ﴿ من أهلِ الكتابِ أمةٌ قائمةٌ

يتلونَ آياتِ الله آناء الليلِ وَهُم يسجدون . يؤمنون بالله واليومِ الآخر ويأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ ويسارعُون في الخيراتِ وأولئك مِنَ الصالحينَ ﴾ . [آل عمران، الآيتان : ١١٣، ١١٤].

ووصف به المؤمنون المجاهدين من هذه الأمة، فقال: ﴿ التائبونَ العابدُونَ الحامدُونَ السائحُونَ الراكعُونَ الساجدُونَ الآمرون بالمعروفِ والنَّاهُونَ عن المنكرِ والحافِظُونَ لحدُود الله وبشِّر المؤمنينَ ﴾ . [التوبة، الآية: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿ كنتمُ خيرَ أمة أخرجَتْ للناسِ تأمرونَ بالمعروفِ وتنهون عن المنكرِ وتؤمِنُون بالله ﴾ . [آل عمران الآية: ١١٠].

فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، آية الإيمان، وبرهان الصلاح، وأهله القائمون به هم خير الناس وأحبهم إلى الله تعالى، فيابشراهم بما أعد الله لهم من الأجر العظيم، والنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ . وقال سبحانه: ﴿ وَيبشِّرهم ربهم برحمةٍ منهُ ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ . خالدينَ فيها

أبدًا إنَّ الله عندَهُ أجرٌ عظيمٌ ﴾ .[التوبة، الآيتان: ٢١، ٢٢].

ثالثا: بالأمر والنهي يتمكن الدين ويعم الصلاح:

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ الله الذينَ آمنُوا مِنكُم وَعمِلُوا الصَّالحاتِ لِيستخلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما استخلَفَ الذينَ من قبلِهِم وَلَيُمكِّنَنَّ لَهم دِينَهُم الذي ارتَضَى لَهُم وَلَيُبدِّلَنَّهُم من بعدِ خَوفِهِمْ أمنًا يعبدُونَنِي لا يُشرِكُونَ بي شيئًا ﴾ .[النور، الآية: ٥٥].

وللأمر بالمعروف ،والنهي عن المنكر، دلالة على الخير وترغيب فيه، وتنبيه على الشر وزجر عنه، فيتحقق بالقيام به تنمية الخير وتقويته وتكثير أهله، وإضعاف الشر وتقليله أو القضاء عليه وقطع أسبابه.

وفي تكرار الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في كل زمان ومكان ومناسبة، تعليم وتربية للأمة بأكملها، حيث يتحقق البيان الحازم للناس على الدوام فيتعلم الجاهل، ويتذكر الغافل، وينشط المتكاسل،

ويضعف أهل الباطل، وبذلك تحيا السنن وتموت البدع، وتنتشر الفضائل وتقل أو تختفي الرذائل، وبهذا يتمكن الدين وتصلح أحوال المسلمين، وتسد منافذ الفتن وتقطع أسباب الشر.

فما أعظم شأن تلك الفريضة، وما أبرك آثار تلك الشعيرة. ولله در القائمين بهما، حقًا فإنهم خير الناس، وأنفع الناس للناس، وهم حرس الفضيلة والقائمون لحدود الله، الساعون في أمن المجتمع، والمحافظة على سفينته أن تغرق، وهم حزب الله: ﴿ أولٰئك حزبُ الله ألا إنَّ حزبَ الله هُمُ المفلحُون ﴾. [المجادلة، الآية: ٢٢].

وهنيئًا لهم بوعده سبحانه، إذ يقول: ﴿ والذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لنهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وإنَّ الله لَمَعَ المحسِنِينَ ﴾. [العنكبوت، الآية: ٦٩].

رابعا: وفي القيام بالأمر والنهي حفظ للنعمة واستقرار للملك:

يروى عن علي - رضي الله عنه - قال: «الدين والملك أخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر، فالدين أساس، والملك حارس. فما لم يكن له أساس فمهدوم

ومـــالم يكن له حارس فضــائع». وفي الصحيح عن معــاوية ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقـــول: «إنّ هذا الأمـــر ـ يعني الملك ـ في قريش، لا يعــاديهم أحــد إلا كبّه الله في النــار على وجهه، ما أقاموا الدين». رواه البخاري. ففي تقييده، ﷺ، بقاء ملك قريش بإقامة الدين، دليل أنهم إذا لم يقيموا الدين فإن الأمر يخرج منهم إلى غيرهم، وهكذا وقع الأمر كما لا يخفى على أدنى من له إلمام بالتاريخ.

ويستفــاد من هذا الحــديث: أن الملك في الــدول الإسلامية مرتبط بالدين، فمن أقامه من الحكام ثبت ملكه، ومن ضيعه خرج الأمر من يده، إلا أن يريد الله امرًا آخر. وهذا واضح من تاريخ الدويلات الإسلامية إبان ضعف الخلافة العباسية، وفي واقعنا المعاصر أمثلة أخرى.

وفي مستدرك الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن أبي مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، ﷺ: «لا يزال هذا الأمر فيكم، وأنتم ولاته ما لم

تحدثوا أعمالاً تنزعه منكم، فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه، فالتحوكم كما يلتحى القضيب»

والمعنى: أزالوكم كما يزال قشر العصا.

وقد وقع طبق مافي هذا الحديث، فبعث الله على قريش لما عصوه من نزع الملك من أيديهم، والتحاهم كما يلتحى القشر. وقصة سقوط دولة بني أمية، ودولة بني العباس معلومة. فإن كل واحدة منهما لم تسقط حتى ضعف فيها جانب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو إختفى ،وهكذا مابعدهما من الدول وآخر تلك الدول العظمى دولة بني عثمان.

فكلما ضيع الناس أمر دينهم ولا سيما الحكام، سلبهم الله نعمة الملك ومايرتبط به من نعمة الأمن، ورغد العيش، واجتماع الكلمة، لما تهاونوا بإقامة دينهم والأخذ على أيدى سفهائِهِم، سُلبُوا النعمة وَبُدِّلُوا بالعز ذلًا، وبالأمن خوفًا، ﴿ ذَلِكَ بأَنَّ الله لم يكُ مغيراً نعمةً أنعمَهَا على قومٍ حتَّى يغيِّرُوا مابأنفُسِهِم وأنَّ الله سميعٌ عليمٌ ﴾. [الانفال، الآية: ٥٣].

خامسا: والقيام بالأمر والنهي من أسباب النصر على الأعداء:

فإن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، جهاد لصيانة المجتمع من أسباب الفساد ودواعي الفتنة، وهو مطاردةٌ للمفسدين، وقطعٌ لدابر الأشرار فيسود الأمن، ويعم الرخاء، وتتوحد الكلمة، وتتحقق المودة، وتتأصل في القلوب كراهية الباطل وعداوة أهله، وتتوجه الهمم لمحاربتهم ووقاية المجتمع المسلم من شرهم، نصرة لله وإعلاءً لكلمته، وغيرة على حرماته وإظهارًا لشعائر دينه، وإذلالًا لأعدائه.

قال تعالى: ﴿ وقاتلوهُم حتَّى لا تكُونَ فتنةٌ ويكُونَ الدينُ كُلُّهُ لله ﴾. [الانفال، الآية: ٣٩]. وقال سبحانه: ﴿ وقاتِلُوا المشركينَ كافَّةً كَمَا يُقاتِلُونَكُم كافَّةً ﴾. [التوبة، الآية: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ قاتِلُوا الذينَ يلونَكُم من الكُفَّار وَلْيَجدُوا فيكُم غِلْظَةً ﴾. [التوبة، الآية: ١٢٣].

وقال سبحانه ﴿ قاتِلُوا الذينَ لا يُؤمِنُون بالله ولا باليوم الآخِرِ ولا يحرِّمُونَ ماحَرَّمَ الله ورسُولُهُ ولا يَدِينُونَ دينَ الحقِّ من الذينَ أُوتُوا الكتابَ حتَّى يُعطُوا الجِزْيَةَ عن يدٍ

وَهُم صاغِرُون ﴾. [التوبة، الآية: ٢٩].

وقد وعد سبحانه مَن نصرَه وقاتل لإعلاء كلمته بالنصر المبين، والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿ ياأيُّها الذِينَ آمَنُوا إنْ تنصرُوا الله ينصرُكم ويُثبِّتْ أقدَامَكُم ﴾. [محمد، الآية: ٧]. وقال سبحانه: ﴿ قاتِلُوهُم يُعذِّبهُمُ الله بأيدِيكم ويُخزِهم وَيَنصرُكُم عليهم وَيشفِ صُدُورَ قوم ٍ مؤمِنينَ . وَيُذهِبَ غيْظَ قُلُوبِهِم ويَتُوبَ الله على من يشاءُ والله عليمٌ حكيمٌ ﴾. [التوبة، الأيتان: ١٤، ١٥].

وبين سبحانه أن من أعظم صفات جنده المنصورين وحزبه المفلحين وأكرم أعمالهم، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقال: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ الله من يَنْصُرُه إنَ الله لقويٌ عزيزٌ . الذِينَ إنْ مكنَاهُم في الأرضِ أقامُوا الصَّلاة وآتوا الزَّكاة وأمَرُوا بالمعروفِ ونهوا عن المنكرِ ولله عاقِبَةُ الأمُور ﴾. [الحج، الآيتان: ٤٠، ٤١].

وقال سبحانه في بيان صفة الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، على الجهاد في سبيله بأن لهم الجنة:

﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمَعرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ .[التوبة، الآية: ١١٢].

فلما نصروا الله بالاستقامة على دينه وإظهار شعائره، وإقامة عبادِهِ عليه، نصرهم على أعدائهم، وجعل لهم الرفعة عليهم، والشرف في الدنيا والأخرة، والجزاء من جنس العمل.

سادسا: والقيام بالأمر والنهي أمنة من الفتنة والهلاك العام:

في الصحيحين عن أم المؤمنين زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ «أن النبي، ﷺ، دخل عليها فزعًا يقول: لا إله الا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها ـ، فقلت: يارسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم! إذا كثر الخبث».

يعنى الفسوق والفجور، وفيه التنبيه على شؤم المعصية، والتحريض على إنكارها، وأن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام.

وفي مراسيل الحسن عن النبي ﷺ: «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه، مالم يمالئ قرّاؤها أمراءها، ومالم يترك صلحاؤها فجارها، وما لم يهن خيارَها أشرارُها، فإذا هم فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم. ثم سلط عليهم جبابرتهم فيسومونهم سوء العذاب. ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر».

قلت: فانظر إلى حال الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في معظم المجتمعات والأمصار الإسلامية، تجده هزيلاً أو مفقودًا وأهله هم الأذلون، وانظر إلى أحوال تلك المجتمعات تجدها ـ كما في الأثر السابق ـ قد تسلط عليهم حكام السوء، وأئمة الجور، فساموهم سوء العذاب، واشتعلت بينهم الفتن وعمهم الفقر وظهرت فيهم الفاقة، نسأل الله العافية لهم ومما هم فيه.

وفي الحديث الصحيح عن النبي، ﷺ، قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من



فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا . وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا» . رواه البخاري .

● فالقائمون في حدود الله هم الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، وهم أهل أعلى السفينة فضّلهم الله في المكان وحمّلهم المسئولية، فإن قاموا بمسؤليتهم نحو سفهاء القوم وعامة الناس، حافظوا على سفينة المجتمع من الغرق، وعلى أنفسهم وإخوانهم من الهلاك الذي لا يكاد ينجوا منه أحد .

● والواقعون في حدود الله هم المقصِّرون في الواجبات، المنتهكون للحرمات، والذين إن لم يؤطروا على الحق أطـرًا وَيُقْصَرُوا عليه قصرًا تسببوا في هلاك أنفسهم ومجتمعهم، وربما دون تفكير منهم بعظيم الجناية ولا إدراكٍ لسوء العاقبة .

● ومن فقه هذا الحديث : أن مرتكب المنكر قد يسيء إلى المجتمع ويتسبب في هلاكه، من حيث يظن أنه محسن في تصرفه .

❊ وأن على عقلاء المجتمع، وذوي الغيرة والمسئولية فيه أن يديموا الرقابة الحازمة على المجتمع، وأن لا يقللوا من أهمية فعل السفهاء في واقع الأمة، وأن عليهم أن يتحملوا الأذى في الأمر والنهي، طمعًا في عظيم الثواب وخشية أن يصيبهم من العقوبة ماهو أخطر مما قد ينالهم من الآذى وأعم ضررًا.

وفي الحديث عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، ﷺ، قال: «والذي نفسي بيده! لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعون فلا يستجاب لكم». رواه الترمذي وحسنه. وفي حديث أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: «إني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه». رواه أبوداود وغيره بأسانيد صحيحه.

❊ ففي القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، سلامة من العقوبات الدنيوية الخاصة والعامة، ونجاة

من الهلاك العام للقائمين به، وللمجتمع الذي يأمرون وينهون فيه، ولهذا لما ذكر سبحانه الأمم السابقة المكذبة، وما أصابها من العقوبات المهلكة العامة، قال: ﴿ فلولا كانَ من القُرُونِ من قَبلِكُم أُولُوا بقيةٍ يَنْهَوْنَ عن الفسادِ في الأرضِ ﴾. [هود، الآية: ١١٦]. أي لما هلكوا بالعذاب السابق ذكره والذي يليق بجرمهم. ثم قال تعالى: ﴿ إلا قليلًا ممَّن أنْجينَا ﴾. أي: قليلاً منهم كانوا ينهون عن الفساد فأنجيناهم. ﴿ واتّبعَ الذِينَ ظَلَمُوا مَا أُترِفُوا فيهِ وكَانُوا مُجرِمين ﴾. فأهلكوا بذلك.

وقال سبحانه: ﴿ فلمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أنجينَا الذِينَ ينهونَ عن السوءِ وأخذنَا الذِينَ ظلمُوا بعذابٍ بئيسٍ بمَا كانُوا يفسُقُون ﴾. [الاعراف، الآية: ١٦٥]. فلم ينجي الله إلا الذين ينهون عن السوء، وأما الذين ظلموا بسكوتهم عن إنكار المنكر، والذين ظلموا بارتكابهم له، أخذهم بالعذاب البيئس بسبب فسقهم، ثم يبعثون على نياتهم ومار بك بظلام للعبيد

سابعاً: والقيام بالأمر والنهي عن مكفرات الخطايا:

ففي الصحيحين عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «فتنة الرجل في أهله، وماله، ونفسه، وولده، وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

والأمر والنهي من شكر العبد لنعم الله عليه، ففي الصحيح عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، ﷺ، قال: «يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة». رواه مسلم.

ثامناً: وأمر الإنسان ونهيه مما يزحزحه الله به من النار:

ففي صحيح مسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله، ﷺ: «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل. فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل

حجرًا عن طريق الناس، أو شوكة، أو عظمًا، من طريق الناس أو أمر بمعروفٍ، أو نهي عن منكر، عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمسي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار».

تاسعا: والأمر والنهي من أسباب الظفر بعظيم الأجور:

فإنهما من الأعمال الصالحة الجليلة، التي يحبها الله ويجزي عليها جزاءًا عظيمًا كريمًا، لعظيم نفعهما للناس، وبركة آثارهما عليهم. قال تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾. [النساء، الآية: ١٥٥].

عاشرا: والقيام بالأمر والنهي من أسباب التوفيق للدعاء والإجابة:

فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعو فلا يستجاب لكم». وروي عنه ﷺ، أنه قال: «ماترك قوم الأمر بالمعروف، والنهي عن

المنكر، إلا لم ترفع أعمالهم ولم يسمع دعاؤهم».

وكذلك الحديث الذي أخرجه الترمذي عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، ﷺ، قال: «والذي نفسي بيده! لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

- فدلت هذه الأحاديث وأمثالها على أن ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من أسباب عدم استجابة الدعاء. وهذا يدل على شؤم إقرار المنكر، وخطر التهاون بالمعاصي، وعلى أن القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من أسباب إلهام الدعاء وتحقق الإجابة، والنصوص الدالة على لطف الله بعباده الذين ينهون عن السوء كثيرة، وأنه يستجيب لهم الدعاء وينجيهم من البلاء قبل انعقاد أسباب العذاب.

وكم في قصص النبيين في القرآن، من الدعوات التي يضرعون بها إلى الله تعالى أن ينجيهم وأتباعهم على الحق قبل أن يُهلك خصومهم الظالمين بالعذاب الأليم،

كقول نوح عليه السلام: ﴿ ربِّ إنَّ قومي كذَّبُون . فافتَـحْ بَينـي وبينَهُم فتحًـا ونجِّنِي وَمن مَعيَ من المُؤمنين . . . فقال تعالى: فأنجيناهُ ومن معَهُ في الفُلكِ المشحُونِ . ثم أغرقنَا بعدُ الباقِين ﴾. [الشعراء، الآيات: ١١٧ - ١٢٠]. وقـال لوط عليه السـلام: ﴿ ربِّ نجِّني وأهـلِي مما يعمَلُون. . . فقـال تعـالى: فنجَّيناهُ وأهلَهُ أجمَعِينَ إلّا عجُوزًا في الغابِرِين ثُمَّ دمَّرنا الآخِرِينَ ﴾.

[الشعراء، الآية: ١٦٩ - ١٧٢].

الحادي عشر: وفي الأمر والنهي القيام بالواجب والسلامة من مشاركة العاصي فيما يترتب على المعصية:

فإن من ترك الأمر بالمعروف - عند التقصير فيه -، والنهي عن المنكـر عند الجرأة عليه ،والانتهاك له مع قدرته على القيام بذلك، يصبح شريكًا للعصاة في وزر المعصية وعارها، والعقوبة عليها، ولهذا ذكر الله تعالى في قصـة أصحاب السبت أن خِيارَهُم وَعَظُوا ظالِميهِمْ فلامهم اللائمون قائلين: ﴿ لِمَ تعظُونَ قومًا الله مُهلِكُهُم أو معـذِّبهُمْ عذابًـا شديـدًا. . . فردوا عليهم قائلين: معذرةً إلى ربِّكُم ولعلَّهُم يتّقُون ﴾. [الأعراف، الآية: ١٦٤].

فواجب على من اطلع على تقصير في واجب، أو ارتكاب لمحرم، أن يغير بالفعل أو بالقول حسب استطاعته، وإلا فبقلبه مع ابتعاده وهجره للعصاة، ومكان المعصية، ليتحقق له القيام بالوظيفة والسلامة من التبعة والنجاة مما قد ينزل بالمخالفين من عقوبة، لما في حديث أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي، ﷺ، قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع». رواه مسلم. وفي سنن أبي داود عن العرس بن عميرة الكندي ـ رضي الله عنه ـ عن النبي، ﷺ، قال: «إذا عُمِلَتْ الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها ـ وقال مرة أنكرها ـ، كمن غاب عنها. ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها». وفي حديث بلال بن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال: «الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، فإذا ظهرت فلم تُغَيَّر ضرت العامة».

وذُكِرَ عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أنه قال: «وإنا

تضر العامة لتركهم ما يجب عليهم من الإنكار والتغيير على من ظهرت منه الخطيئة».

وثمود هلكوا لما عقروا الناقة والفاعل واحد منهم، لأنهم أقروه ورضوا عمله فلم ينهوه أو يأخذوا على يديه.

الثاني عشر: البشارات العظيمة بالخير والرحمة لأهل الأمر والنهي:

قال تعالى ـ بعد أن سرد صفات المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، بأن لهم الجنة على الجهاد في سبيله ـ: ﴿ الآمِرُونَ بِالمعْرُوفِ والنّاهون عن المنكرِ والحافِظُون لحدود الله وبشرِ المؤمِنين ﴾. [التوبة، الآية: ١١٢]. فذكر البشارة ولم يذكر المبشر به، ليعم جميع مارتب على الإيمان من ثواب الدنيا والآخرة. فالبشارة متناولة لكل مؤمن وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين وإيمانهم قوةً وضعفًا وعملاً، بمقتضى الإيمان.

وقال تعالى، في موضع آخر: ﴿ والمؤمنونَ والمؤمناتِ بعضُهم أولياءُ بعضٍ يأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكر ويقيمونَ الصَّلاة ويؤتونَ الزَّكاة ويطيعونَ الله

ورسُولَه أولَئكَ سيرحمهُمُ الله إنّ الله عزيزٌ حكيمٌ. وعَدَ الله المؤمنينَ والمؤمنات جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ومساكِنَ طيبةً في جنّاتِ عدنٍ ورضوانٌ من الله أكبرُ ذلك هو الفوزُ العظيم ﴾. [التوبة، الآية: ٧١].

فوعد سبحانه المؤمنين الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، أن يدخلهم في رحمته ويشملهم بإحسانه، ثم ذكر أنه أعد لهم ثوابًا على ذلك، جنات جامعة لكل نعيم. ولا يعلم مافيها من الخيرات إلا الله، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا، أعد الله لهم فيها من النعيم وألوان التكريم، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويحل الله عليهم رضوانه، وهو أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم ـ جعلنا الله ووالدينا وذرياتنا وأحبابنا منهم برحمته وجوده ـ فرضاء رب الأرض والسموات أكبر من نعيم الجنات ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾.



* * *

أخطار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشؤم ظهور المعاصي

ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ مع القدرة عليه والتمكن من تغيير المنكر وإزالته أو تقليله وإضعافه ـ برهان على نسيان الله والغفلة عن ذكره، وآية ضعف الإيمان ونقصه، وربما كان مقدمة لانتفائه وذهابه من القلب بالكلية، وقد تضمنت الفقرات السابقة إشارات وجملاً من أخطار ترك تغيير المنكر، وظهور المعاصي وكثرة الخبث منها:

* أنه من موانع إجابة الدعاء، ومقتضيات عدم رفع الأعمال.
* وهو أيضًا من أسباب ظهور الأشرار، وتولِّي السفلة وتسلط الجبابرة، الذين يسومون الناس سوء العذاب.
* ومن عقوباته ضرب الناس بالفاقة، والفقر، والهوان، والذلة.

* **ومن أخطر أضراره كثرة الشرور، وتنوع الفتن،** التى تغير القلوب وتظلم الوجوه وتشتت الشمل وتفرق الكلمة، وتجعل بأس الناس بينهم حتى يضرب بعضهم رقاب بعض.
* **ومنها زوال الملك وذهاب الريح، وتسلط العدو** الذي يستبيح البيضة ويستعبد الأمة، ويهين ذوى الشرف والمروءة.
* **ومنها الضلال بعد الهدى، والتيه في أودية الردى،** والمجادلة بالباطل لدفع الحق.
* **ولقد توعد الله المجتمع الذي لا يتناهى عن المنكر،** باللعنة والسخط والغضب وأليم العقاب وشديد العذاب.
* **ومنها** سوء الخاتمة حيث يهلكون مهلك الظالمين. ثم يبعثون على نياتهم.

نعوذ بالله من سوء الخاتمة، ونسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من أوليائه المتقين، وعباده المؤمنين، وجنده الغالبين، وأن

يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته، ويذل فيه أهــل معصيتــه، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا إنه تعالى سميع قريب مجيب، وهو المستعان وعليه التكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكان الفراغ من إعداد هذه التذكرة وتصحيحها يوم الأحــد المــوافق للتــاســع والعشرين من شهر رمضان المبــارك، لعام ألف وأربعمائة وأحد عشر للهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المؤلف

عبدالله بن صالح القصير

الموجه الإسلامي بمركز الدعوة والإرشاد بالرياض


شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
NEW & EXCLUSIVE

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



صدر عن: دار العاصمة





الجديد
NEW & EXCLUSIVE

قريبا يصدر عن: دار العاصمة

١ ـ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الشيخ عبدالعزيز ابن باز

٢ ـ كن في الدنيا كأنك غريب/ الشيخ عمر العيد

٣ ـ تبصرة وذكرى جمع وترتيب أبو أنس

٤ ـ وقفة مع الامتحانات الشيخ عمر العيد

٥ ـ المسلمون والتحديات المعاصرة / الشيخ عبدالله ابن قعود

٦ ـ إلى ربات الخدور جمع وترتيب أبو أنس

٧ ـ صفة العمرة والحج/ الشيخ عمر العيد

٨ ـ توجيهات وفوائد للحجاج والمعتمرين/ الشيخ عمر العيد

٩ ـ ماصح به الخبر عن سيد البشر فيما يختص بالشعر

عبد الرحمن الصغيّر

١٠ـ إلى أصحاب الأسرة البيضاء/ الشيخ عمر العيد

١١ـ سلسلة أسباب عذاب القبر/ الشيخ سعيد بن مسفر

١٢ـ رسالة من فتاة غيورة إلى الرجال/ الشيخ سعيد بن مسفر

١٣ـ متى نتعظ/ عائشة بنت عمر


شبكة
الألوكة
www.alukah.net


الجديد
NEW & EXCLUSIVE



كتب للمؤلف:

١ ـ الذكرى بخطر الربا.

٢ ـ تذكرة المصلين بدعوات سيد المرسلين ﷺ.

٣ ـ تذكرة الصوام بشيء من فضائل الصيام والقيام ومايتعلق بهما من أحكام.

٤ ـ نبذة عن «زكاة الفطر»

٥ ـ تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.




الجديد
NEW & EXCLUSIVE

موافقة الإعلام رقم ٦٢١٩/م وتاريخ ١٤١١/٩/٢٣ هـ

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض